الباب السادس
في طي الأرض وتزويتها له مع عدم تحركه

قد تقدم أن هذا هو الطي الأصغر عند أهل هذه الطريقة ، وأن الطي الأكبر هو طي أوصاف النفوس .

فمن ذلك ما حدثني به الفقيه الأجل محمد بن شمس الدين الداعي وغير واحد عن الشيخ الصالح العارف بالله هارون الفيشي أنه هو وغيره وجد الشيخ بإسكندرية وصلى معه الظهر يوم الثلاثاء ثم فارقوا الشيخ ومشوا إلى يوم الجمعة فجاءوا لمنوف وجدوا الشيخ قد سبقهم فسأل الشيخ هارون سيدي الشيخ إبراهيم ابن الشيخ الصالح سليمان وغيره عن الشيخ متى جاء فقالوا : صلى العصر معنا يوم الثلاثاء قال محمد المذكور فكان الشيخ هارون ~ تعالى يقول : اروا عني أن الشيخ صلى الظهر بإسكندرية والعصر بمنوف وحكى لي من أثق به مثل هذه عن الشيخ هارون أيضا في قصة أخرى .

ومن ذلك الحكاية المتقدمة في جلوس الشيخ على حافة المركب حين أشرفت على الغرق .

ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح العالم سليمان المقرئ قال : قال بعض الفقراء الصالحين : رأيت سيدي الشيخ بمنوف في جنازة [٣٦/ أ] الشيخ إبراهيم ولد الشيخ سليمان ولكن لم يره أهل منوف لكوني لم أر أحدا منهم يسلم عليه ـ أو كلاما هذا معناه ـ والشيخ لم يزل بالقاهرة بين الطلبة ذلك اليوم .

ومن ذلك ما سمعت عن بعض الخيرين قال جاء من الحجاز الشريف شخص للمدرسة وسأل عن سيدي الشيخ وذكر أنه رآه واقفا بعرفة ؛ فقال له الناس : الشيخ لم يزل من مكانه ؛ فحلف على ذلك ؛ فطلع الشيخ فلما رآه سلم عليه وأراد أن يتكلم فأشار إليه الشيخ بالسكوت .

ومن ذلك ما حدثني به بعض الطلبة الأخيار أن صهر سيدي الشيخ الصالح عبد الرحمن لما سافر للحجاز الشريف وترك في التربة ثلاثة فكانوا يرون الشيخ دائرا عليهم كلما أخلوا بشيء والشيخ لم يزل مع الطلبة .

ومن ذلك ما حدثت عن الشيخ نصير الدين أبي الوحش قال : طلبني السلطان الملك الناصر فخفت وخوفت أيضا فهو كذلك ضيق الصدر إذ خرج لحفاية هناك فتوسل بسيدي الشيخ فرآه وقال له ما عليك أو كلاما هذا معناه فكان كذلك والشيخ لم يزل عند الطلبة .

ومن ذلك ما حكاه لي الشيخ الصالح عبد الله الصنهاجي قال : كنت عند الشيخ بالتربة يوما فقال لي الشيخ : اسبقني إلى البيت يعني بيت المدرسة قال فسبقته وجلست في انتظاره فأنا كذلك معسل وإذا بالشيخ داخل البيت ولم ينفتح الباب قبل [٣٦/ ب] ذلك .

ومن ذلك أن الشيخ ~ تعالى كان يصاحب شخصا يسمى يعقوب وكان من أولياء الله تعالى الأخيار فذهب الشيخ يعقوب إلى بلده وهي قريبة من النويرة فأقام بها وتزوج بنت عدل من عدول تلك البلد فكانت زوجته تفقده في الليل فترصدت ليلة وأظهرت نومها فعند ذهاب جزء جيد من الليل رأت رجلا ونزل فوق سلالم الغرفة فطلع له الشيخ يعقوب وتحدث معه ساعة ثم

طار فنامت وقامت على عادتها فوجدته معها فقالت له : أين كنت ؟

قال : هنا ؛ فقالت له : قد رأيت منك كيت وكيت .

فقال لها : اسكتي ؛ فذهبت بعد أيام لبيت أبيها فذكرت ما رأت فلقيه والدها فقال له : ما هذا الذي ذكرته فلانة ؟ يعني ابنته فسكت الشيخ يعقوب ثم ذهب للمسجد فصلى العشاء ثم جاء لبيته فاضطجع فمات رضي الله عنه .

قال : قال لي الفقيه محمد الضرير : فعلم أهل تلك البلدة أن الذي كان يأتي إليه هو سيدي الشيخ عبد الله .

ومن ذلك ما أخبرني به الشيخ العالم موسى شرف الدين المقرئ قال : ذكر لي بعض الطلبة الأخيار ممن قرأ علي أنه جاور سنة بمكة من رجب قال فلم أزل أنظر الشيخ في المطاف ولكن ما كنت أستطيع أتقرب منه .

ومن ذلك ما أخبرني به الشيخ الصالح الزاهد حسن المشهور بالصبان[1] قال : لما جئت هذه البلاد وذهبت إلى القدس الشريف فحصلت [٣٧/ أ] لي مرضة شديدة وحصل لي فيها اللطف الجميل وفرحت لها لاجتماع المرض والغربة ، قال فبينما أنا كذلك وإذا بثلاثة رجال دخلوا علي في المكان الذي أنا فيه فأما الأولان فدخلا وذهبا وأما الثالث فإنه جعل يتأخر ويتأدب ، قال : فجعلت أقول : سبحان الله تقدم ؛ وحصل لي انزعاج بسبب ذلك ، ولم يكن حصل لي قبل ذلك اجتماع بسيدي الشيخ عبد الله ثم بعد ذلك اجتمعت به فرأيته هو الثالث . أو كما قال .

---

(١) قلت لعله الزاهد الحسن الصبان المغربي الحاجاوي المذكور عند المقريزي ، وإن كان متأخر الوفاة توفي سنة ٧٨١هـ . السلوك : ٥/ ٧٩ ، والنجوم الزاهرة : ١١/ ٢٠٠ .

ومن ذلك ما حدثني به بعض العدول الأخيار قال : قال لي بعض أصحاب سيدي الشيخ وكان ذا صورة جميلة قال : كنت ماشيا يوما فقالت لي امرأة : أريد أن تقرأ لي ورقة فدخلت عندها لأقرأ لها ورقة فغلقت الباب ثم قالت : إني أحببتك وطلبت مني المواقعة فهممت بذلك ، ثم افتكرت الشيخ فإذا بالحائط انشقت وخرج منها الشيخ ~ ــ أو قال يخيل لي فغشي علي ــ وعصمني الله ببركته .

ومن ذلك ما حدثني به الفقيه الأجل شمس الدين الداعي قال سافرت وأنا صغير مع الفقيه الصالح أبي بكر الفيشي ، وكنت رديفه على الدابة وسافر الشيخ معنا لوالدته وكان مع الشيخ حمار أعطاه له الحاج محمد الزيات بعد أن حلف على الشيخ أنه لا بد أن يأخذه فخرجنا عند قنطرة الحاجب فنهق الحمار فقال لي يا محمد وطي لي هذا الحمار فركبته فلما أخذ [٣٧/ ب] ليفعل كفعله تحققته [١] بالصريمة فقال الشيخ ما يصلح لزيد إلا عمرو ، ثم طلبنا الشيخ أن يركب مرارا فأبى وقال : لقليوب ؛ فلما وصلنا قال لي سيدي الشيخ : استمر أنت على ركوبه وأنا أكتري لي دابة فاكترى له بنحو نصف درهم من صبي يسمى يعيش ، ثم خرجنا من قليوب فجلسنا نتغدى ، فانعزل الشيخ عنا يتلو القرآن فقلنا له يأكل ، فقال أعطوني نصيبي ؛ فأعطيناه نصف دجاجة ورغيفًا فأكل الشيخ شيئا يسيرا وأعطى الباقي للصبي المكاري ، ثم ركب الشيخ يسيرا ثم سأل الصبي عن حاله فأخبره أن والده مات وأن له والدة وأخوات وأنه يعمل على هذه الدابة ويطعمهم ؛ فبكى سيدي الشيخ وقال : هذا خير مني ، ثم قال له اركب دابتك ، ومشى الشيخ على الأرض حافيا في الحر ، وكانت

(١) كذا بالنسختين ولعلها نخسته .

الأرض كما نزل عنها الماء[١] يعني ماء النيل وهي كالحصى فقال لي الشيخ أبو بكر : انظر كيف يعذب الشيخ نفسه ؟

فقلنا للصبي : ما جرى لأحد مثلك تكري دابة وتركبها وتأكل دجاجا فقال لنا : إذا كان الله رزقني رجلا صالحا فلا تحسدوني ، ثم لما قابل الصبي بلده سندبيس[٢] وقد بقي من أمد الكراء كثير حل الشيخ فضة وأعطاها له وقال له : اذهب لأمك .

ثم وصلنا لفيشة [٣] وقصدنا الطلوع لسيدي الشيخ الصالح [٤] العارف بالله تعالى هارون فقال سيدي الشيخ : نجلس حتى نمسي ثم نطلع البلد لئلا يكثر الناس علينا ؛ ثم طلعنا مساء ؟

فلما دخلنا [٣٨/ أ] رحب بنا الشيخ هارون وفرح بالشيخ فرحا شديدا فقال له سيدي الشيخ لا تعلم بنا أحدا فقال له يا سيدي هل يجد أحد كنزا ويخبر به غيره .

ثم أحضر شيئا للأكل فجلسنا نأكل والشيخ معنا فجاء رجل من مشايخ البلد ورأى الشيخ فسلم عليه وطلب منه الدعاء ، وقال له يا سيدي : أعطني من هذا الخبز فأعطاه الشيخ رغيفا ، فكانت سنة مباركة على ذلك الرجل ، ثم إن الشيخ طلب الاختلاء ففعل له ذلك .

---

(١) في النسخة الأخرى (النيل) .

(٢) سندبيس بباء موحدة مكسورة بعد الدال المفتوحة وهي بلدة مصرية بمحافظة القليوبية .

(٣) فيشة اسم يطلق على خمس قرى في مصر كما ذكر علي باشا مبارك في الخطط ، اثنان منها بحافظة المنوفية فيشة الكبرى وفيشة الصغرى وأظنها المعنية . الخطط التوفيقية ج١٤ ، ص٢٦٣ .

(٤) ساقطة من نسخة .

ثم انصرف الشيخ هارون لبيته ، وأقفل الزاوية ، ثم لما جاء في السحر لم يجد الشيخ ولا الحمار ، والزاوية مقفلة على حالها ، فعلم أن الشيخ ذهب للعلم به . أو كلاما هذا معناه .

***

وذكر لي الفقيه الصالح أحمد ابن الشيخ الصالح عبد النور عن والدته زوجة الشيخ عبد النور التي تزوجها الشيخ بعده ؛ قال : أراد الشيخ يوما الخروج إلى صلاة الصبح في جماعة فلم يجد المفتاح فسأل الوالدة عنه فقالت : هو في الموضع الفلاني ، ففتش الشيخ عليه فلم يجده ، ففتح الشيخ الباب من غير مفتاح ولا فتش ولا تجادل [١] ثم لم يجدوا المفتاح .

***

وذكر لي القاضي الأجل المحترم حمزة[٢] نجم الدين قال : ذهبت أنا وغيري إلى الشيخ للتربة لأنظره فجلسنا على باب التربة ننتظره ثم سألنا عنه فقيل : إنه داخل يصلي .

***

وحكى لي من أثق به عن الشيخ أبي بكر الفيشي ؛ قال : سافرت إلى الحجاز وسافر الشيخ بوالدته فكان إذا حمل لا ننظر الشيخ ولا أقدر [٣٨/ ب] على الاجتماع به ؛ فإذا جئنا إلى المنزلة أجده آخذًا بزمام ناقة والدته وكذلك حكى لي من كان حاضرا لذلك .

---

(١) قوله ولا تجادل ساقطة من نسخة .

(٢) ساقطة من نسخة .

وذكر لي بعض الطلبة أن أشخاصا طلعوا إلى المطلع الذي فيه سيدي الشيخ وسألوا عنه فقالوا ها ذاك بيته يعني آخر البيوت ، ولكنه ما جاء . قال : فذهبوا ولم يردوا ؛ فذهبت وفتشت عليهم فلم أجدهم في بيت من البيوت . وعلمت أنهم من أهل الخطوة ونحو ذلك .

فإن قلت كيف يمكن وجود الشخص الواحد بمكانين قلت الولي إذا تحقق في ولايته تمكن في التصوير في روحانيته ويعطى من القدرة التصوير في صور عديدة وليس ذلك بمحال لأن المتعدد هو الصورة الروحانية وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى ، وكما حكي عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى قضيب البان [(١)] لما أنكر عليه بعض الفقهاء عدم الصلاة في جماعة اجتمع ذلك الفقيه به فصلى بحضرته ثماني ركعات في أربع صور ؛ ثم قال له : أي صورة لم تصل معكم ؟ فقبل يد الشيخ وتاب .

وكما حكي عن سيدي الشيخ العارف بالله تعالى أبي العباس المرسي أنه طلبه إنسان لأمر عنده يوم الجمعة بعد الصلاة ؛قال : نعم ، ثم جاء أربعة كل منهم طلب منه ذلك فأنعم للجميع ، ثم صلى الشيخ مع الجماعة ، وجاء فقعد بين الفقراء ولم يذهب لأحد منهم ، وإذا بكل من الخمسة جاء فشكر الشيخ على حضوره عنده . [٣٩/ أ] .

وقد حكى جماعة أن الكعبة رئيت تطوف ببعض الأولياء ، ومع هذه الحكايات ، فكان الشيخ ~ تعالى يظهر العجز ، وقد بلغني من غير واحد أن

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحيى الحسني ، المعروف بقضيب البان ، الموصلي ، المتوفى سنة ٥٧٣هـ ، تفقه حنبليا وصحب عبد القادر الكيلاني وغيره ، له أخبار في الزهد كثيرة . انظر : تاريخ ابن الوردي : ٢/ ٨٣ ، والأعلام للزركلي : ٢/ ٢٥١ .

الشيخ لما تزوج أم أولاده وعقد عليها جاء تلك الليلة ليبيت عندها فلم يعرف المنزل فجعل يفتش عليه إلى وقت جيد في الليل ، ثم إنه قصد زوج أختها وهو الفقيه الصالح علي نور الدين المؤدب المغربي فطرق عليه البيت وذكر له أمره حتى ذهب معه ليريه البيت .

***

وكذلك كان يستقصي في بعض الأوقات عن بعض الأمكنة نعم ربما حصل له في بعض توهانه العناء كما حدثني به الفقيه الأجل محمد زكي الدين ، قال : حدثني الشيخ الصالح صهر سيدي الشيخ قال : قال لنا الشيخ مرة وقت تزوج بأخته وسكن معها في أواخر القرافة أنه قد أظلم عليه الليل في بعض الليالي ولم يعرف الطريق ، وكنت عند تربة فإذا بنور حصل وصحبني إلى أن جئت إليكم قال : ثم استدرك سيدي الشيخ ذلك وقال : إنما قلت لكم لتعلموا أن بعض الأماكن مباركة .

*****

obeikandi.com